الكتب الأدبية بين قيود الرقابة والتطرف وأزمة القراءة

القسم الأول

عبد الجبار ناصر

"ليس هناك من شيء أكثر وعيا من جهل ناشط"
"غوته"

لا بد من القول إن همة الكاتب والشاعر والقاص والروائي العربي ومواصلته الإبداع تبعث على الإعجاب وتستحق التقدير، ذلك إنه في الحقيقة يكتب لنفسه ولمجموعة من الناس من حوله أو لقراء قد يكونون في أحسن تقدير عدة مئات من بين عشرات الملايين، بل هم ثلث عدد من كانوا يقرأون قبل أربعة عقود. إن معظم الحكومات العربية تفرض رقابة صارمة على حرية الرأي، وهنالك البعض من رجال الدين المتطرفين الذين يهددون بفتاوى الردة والتكفير مما وضع قيودا على الإبداع، أضف إلى ذلك ما يعيشه العالم العربي من أزمة خطيرة في القراءة، وقد كشفت إحصاءات نادرة في بعض البلاد العربية عن حجم الكارثة في عدد القراء العرب، ولو أجريت دراسة عملية على عدد القراء في العراق الآن لكشفت عن كارثة أكبر.

وللتدليل على حجم الكارثة، تشير إحصاءات نشرت في تقرير التنمية البشرية العربية الصادر عام ٢٠٠٣ إلى أن أعلى المبيعات للكتاب الأوفر حظا لا يزيد عن خمسة آلاف نسخة في البلاد العربية، ومعظمها غنية بالنفط، التي يبلغ عدد سكانها ٢٨٤ مليون نسمة، ومرد ذلك إلى ارتفاع نسبة الأمية وقلة الوعي وندرة القراءة وصرامة الرقابة والقيود المفروضة على الناشرين من المجتمع ومن الهيئات الدينية. أما ترجمة الأعمال الأدبية الأجنبية إلى العربية فهي الأخرى مؤشر على الوضع الثقافي المأساوي لأنها أقل نسبة في العالم عدا الدول الأفريقية المحاصرة بالمجاعة والحروب الأهلية، فما يترجم في اليونان ذات ١١ مليون نسمة يزيد على خمسة أضعاف ما ينشر في البلاد العربية مجتمعة. وأن عدد الكتب التي تطبع في أسبانيا – التي يبلغ عدد سكانها ٣٩ مليون نسمة- خلال عام واحد يوازي ما طبع من كتب عربية منذ عهد الخليفة الأمين إلى يومنا الحاضر. وان عدد الكتب المترجمة إلى العربية لا يزيد عن عشرة آلاف كتاب خلال الألفية الماضية، وهذا الرقم يساوي عدد الكتب المترجمة إلى الأسبانية في عام واحد!

الكتاب يهدد الأمن الوطني!

تعرف "موسوعة كولومبيا" الأميركية الرقابة بأنها" المنع والتقييد لأي شكل من التعبير يُظن أنه يهدد النظام السياسي، وقد يفرض هذا المنع أو التقييد من قبل السلطات الحكومية، المحلية أو الوطنية، أو من قبل هيئة دينية، أو أحيانا من مجموعة خاصة قوية. قد ينطبق ذلك على ما يوزع عبر البريد، الخطاب، الصحافة، المسرح، الرقص، الفن، الأدب، التصوير، السينما، الإذاعة، التلفزيون، أو شبكة الكمبيوتر والانترنيت. تطبق الرقابة، سواء كانت وقائية أو تأديبية، قبل أن يعلن الموضوع المثير للجدل للجمهور أو بعد ذلك. تطبق هذا الرقابة من قبل الحكومات الاستبدادية والمركزية، منذ عهد الإمبراطورية الرومانية إلى الأنظمة الشمولية في وقتنا الراهن."

يكون تطبيق الرقابة عن طريق إبعاد المواد المعبرة مثل الكُتب والمجلات والأفلام وأشرطة الفيديو، أو القطع الفنية المعترض عليها عن متناول العامة أو إزالتها. يُميّزُ الأفرادُ ومجموعاتُ الضغط المواد التي يمنعونها. تنجح تلك المجموعات أحياناً بالضغط على المدارس لمنعها من الوصول إلى الطلبة، وعلى المكتبات عامة أن لا تضعها على رفوفها، وعلى مخازن الكتب ومحلات الفيديو بعدم الاحتفاظ بها، وعلى الناشرين بعدم طبعها ونشرها، وعلى قاعات المعارض الفنية بعدم عرضها. تطبق الرقابة أيضاً بتحديد المواد التي يمكن عرضها أو توفيرها لجمهور معين، استنادا إلى أعمارهم وخصائصهم الأخرى.

يثار بين الحين والحين في بعض البلاد العربية المتمتعة بقدر كبير من حرية الرأي احتجاج على ما يوصف بتشديد الرقابة ومصادرة بعض المطبوعات، خاصة عند إقامة معارض للكتاب، مثلما حدث العام الماضي في معرض للكتاب العربي في الكويت. المطالبون بحرية الرأي على حق، ولجان الرقابة أحيانا (قليلة) على حق كون بعض المطبوعات تضر بوحدة المجتمع، وأقصد هنا الكتب المؤلفة قصدا لإثارة فتنة طائفية.

إذا كان تاريخ الرقابة في الشرق مظلما، فتاريخها في الغرب، الذي نعتبره مجالا مفتوحا لحرية الرأي، حالك في مصادرة المطبوعات وحرقها لكنه أقل اضطهادا عما حدث ويحدث في الشرق وفي عالمنا العربي، وقد لا يصدق البعض أن هذه الرقابة، في الغرب، شملت روائع من الأدب العالمي وفي مقدمتها "ألف ليلة وليلة" ومؤلفات جيمس جويس ومارك توين وشتاينبك وفولتير وجان جاك روسو. وفي أميركا، اشتدت الرقابة في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى على ما وصف بالأدب والفن الفاحش، ووصل الأمر أن تولت لجان الأمن في دوائر الجمارك وهيئة البريد تحديد ما يسمح أو لا يسمح بدخوله من كتب ومنشورات.

يشير تقرير التنمية العربية التي يشرف عليها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى أن أخطر القيود على الكتاب هي تلك المفروضة من السلطات الأمنية حين تقوم تلك السلطات بمصادرة المطبوعات أو حظر دخول أدباء إلى بلد عربي أو منع بيع كتب معينة أثناء إقامة معارض الكتاب. تتجاوز تلك السلطات القضاء والقانون بحجة حماية" الأمن الوطني". الحريات في البلاد العربية رهينة قضايا الأمن والرقابة والتقاليد الاجتماعية. إن أول ضحايا تجاهل الحريات هو الإبداع والابتكار والمعرفة. يذكر التقرير مثالا على تناقض الرقابة العربية، فالرواية التي فازت بجائزة أفضل عمل أدبي عام ٢٠٠٠ في عاصمة اختيرت عاصمة الثقافة العربية حينذاك منع الرقيب توزيعها في العاصمة ذاتها!

التطرف الديني مطرقة على حرية الفكر

يبدو الرقيب الأمني الحكومي أقل تطرفا من رقابة المؤسسات الدينية، ففي مصر مثلا لم تعد الرقابة على الأعمال الأدبية والفنية في مصر حكراً على أجهزة الدولة فحسب، بل أصبح هناك دور للمؤسسات الدينية متمثلة في الأزهر يضاهي دور أجهزة الدولة في هذا المجال- بعد أن كان دوره قاصراً على متابعة المصاحف وكتب الحديث النبوي الشريف وكذلك الكتب التي تناقش موضوعات دينية ومسائل في التاريخ الإسلامي وفي السيرة النبوية للتأكد من صحتها –كما جاء في تقرير المنظمة المصرية لحقوق الإنسان. جاء في التقرير المذكور: "في كانون الثاني١٩٩٤ قام شيخ الأزهر آنذاك بإرسال خطاب إلى الجمعية العمومية لقسمي الفتوى والتشريع بمجلس الدولة يطلب فيه إصدار فتوى قانونية حول تحديد اختصاصات الأزهر في التصدي للأعمال الفنية والمصنفات السمعية والبصرية، وأصدر المجلس فتوى تؤكد أن للأزهر وحده الرأي الملزم لوزارة الثقافة في تقدير الشأن الإسلامي للترخيص أو رفض الترخيص للمصنفات السمعية أو السمعية البصرية. وبصدور تلك الفتوى نجح الأزهر في إيجاد سند قانوني لتلك الرقابة التي اعتاد أن يفرضها على آراء وأفكار المبدعين دون أي سند قانوني.ومن أمثلة ذلك البيان الصادر من لجنة علماء الأزهر بتكفير المفكر "فرج فودة" الذي كان بمثابة ضوء أخضر أستند إليه بعض المتعصبين دينياً في تنفيذ جريمة اغتياله. ومؤخراً تم تكفير الكاتب أسامة أنور عكاشة والتشكيك في إيمانه، والسعي إلى تفريقه عن زوجته في أروقة المحاكم، وذلك لمجرد أنه قال رأياً مخالفاً – لمن يعتبرون أنفسهم أوصياء على الإسلام والمسلمين في بلاد عمرو بن العاص."

طه حسين والشعر الجاهلي

أثار كتاب الأديب الكبير طه حسين "في الشعر الجاهلي" جدلا واسعا في الأوساط الأدبية المصرية والعربية، واستغله البعض لشن حملة ضد الكاتب وصلت حد الدعوة إلى قتله. كان الدكتور طه حسين يتوقع ذلك، فقد كتب مقدمة كتابه" في الشعر الجاهلي": " هذا نحو عن تاريخ الشعر العربي جديد، لم يألفه الناس عندنا من قبل. وأكاد أجزم بأن فريقاً منهم سيلقونه ساخطين عليه، وبأن فريقاً آخر سيزورون عنه ازوراراً ".

صدقت نبوءة طه حسين، لكن من قاد حملة السخط لم يكن مدفوعا بحمية الدفاع عن الدين والشعر، بل لاختلاف وجهات النظر وربما لأغراض لا تمت بصلة إلى الشعر وحقبة ما قبل الإسلام. لقد قاد تلك الحملة الأديب الرافعي الذي نشر مقالات تحريضية ثم نشر كتابه"تحت راية القرآن" الذي لم يركز فيه على إقامة الدليل على ما رآه من خطأ وجهة نظر طه حسين، بل كان كتابه مجموعة من الشتائم والتحريض، فاعتبر طه حسين "أداة استعمارية غرضها توهين عُرى الإسلام"، واتهمه بالزندقة وبالإلحاد، وأسماه "المستر حسين" و"المبشر طه حسين"، وكنّاه "أبا مرجريت" و"أبا ألبرت"، وحرض عليه وزارة المعارف داعيا إلى إبعاده الجامعة وحماية النشء من أفكاره. وكان رد الدكتور طه حسين تصريحا أدلى به إلى صحيفة ""الإنفورماسيون": "قيل لهؤلاء البسطاء إني أطعن في الإسلام، فشهروا الحرب عليّ جميعا. على أني أقول عاليا إنه ليس في كتابي كلمة يمكن أن تُؤوّل ضد الدين. والعبارة التي يمكن أن أُنتقَد من أجلها تضع النصوص المقدسة بعيدة عن قسوة المباحث التاريخية."

أشير هنا إلى رأي إبراهيم محمود الذي أراه صائبا ومنصفا، يقول الكاتب في مقاله المنشور في مجلة "أفق"، ويمكن مراجعته على شبكة الانترنيت: " رغم كل ما قيل في وعن (في الشعر الجاهلي) من آراء وتعليقات، وما بدا من ردود أفعال، فإن الباقي هو الكتاب نفسه بفكرته، بما يخص قضية الفكر أو حرية الكاتب في اختيار المنظور الذي من خلاله يرسم ويحدد وجهة نظره، هنا المرجعية الفكرية تبقى قضية أخرى من حيث القيمة والمغزى، طالما أن المدى الذي يتحدد في منظور الكاتب يمارس أكثر من تحريك للراكد أو يستنطق ما كان ماضيا بوصفه الحقيقة الناجزة. أحسب هنا أن طه حسين في كتابه العمدة المذكور حرك مفهوم الزمن ومنحه البعد المطلوب له على الأقل من جهة الأرضية التاريخية، عندما سعى إلى توقيف الماضي ومساءلته ومقاربة ما كانه وما يكونه تاريخياً ومعرفياً.لهذا تكون المادة المقروءة في كتاب(في الشعر الجاهلي) أكثر من صيغة نقدية انتقادية لما كانه الشعر الجاهلي، إنها قضية ثقافة بكاملها، وقضية العقل المتضمن لها، وقضية كينونة بكل توضعاتها الأثنية والأعرافية، ومعاينة الحدود الفاصلة بين ما هو تاريخي منقَب فيه وما هو مقحم فيه. إنها قضية كل ما وصل إلينا في صدقيته تماماً."

ليت خصوم الدكتور طه حسين عملوا بنصيحة الدكتور محمد حسين هيكل في مقال له في جريدة السياسة المصرية دفاعا عن الشيخ علي عبد الرازق وكتابه " الإسلام ونظام الحكم ": " وكم نود لو أن خصوم الأستاذ في رأيه تقدموا لنا بمثل ما تقدم به من تحقيق علمي هادئ لا تغشى عليه الشهوات ولا تتلاعب به المنافع ولا تسقط حججه الاندفاعات الباطلة".

حرق الكتب.. تاريخ غير مشرف

يعد الكتاب أكثر وسائل التعبير تحديا وهدفا للرقابة على امتداد التاريخ، ويعود ذلك لأسباب عدة، منها ما يتعلق بمضامينه السياسية، تعبيره التحريضي وكشفه للمظالم والممارسات الخاطئة من جانب السلطة الحكومية والدينية. ولم تتردد سلطة الرقابة في منع الكتب المثيرة للجدل بتهمة الإساءة للأخلاق العامة أو المعتقدات الدينية أو القذف بحق الحاكم المطلق.

خلد التاريخ شهداء الرأي الذين تمسكوا بآرائهم وكتاباتهم، فمنهم من أُحرق مشدودا إلى خازوق، ومنهم من أرغم على تناول السم، أو صُلب، أو نُفي وأُهين.

قبل أشهر قليلة صدر عن "دار الجمل" في ألمانيا كتاب للباحث السعودي ناصر الحزيمي بعنوان "حرق الكتب في التراث العربي؟. جمع الباحث في كتابه بعض حوادث وأخبار إتلاف الكتب في التراث العربي تاب عن شهداء الرأي وضحاياه في التراث العربي، ويذكر المؤلفين الذين اتلفوا كتبهم وقد بلغوا سبعة وثلاثين كاتباً من بينهم ابن فروخ الحافظ، ابن سينا، الماوردي، الحافي، سعيد بن جبير، أبو عمرو الكوفي، التوحيدي، أبو عمرو بن العلاء، سفيان الثوري.

لكنني هنا سأشير بسرعة إلى ما ذكرته المصادر التاريخية عن أشهر حرائق الكتب في تاريخ العالم.

❖ ٢١٣ قبل الميلاد، أمر لي سي جاكم مقاطعة" كن شي هوانغ" الصينية بحرق كُل كُتُب الفلسفة وكُتب التاريخ من الولايات ماعدا نسخ في المكتبة الإمبراطورية للاستعمالات الرسمية، ورافق ذلك دفن عدد من المثقفين، ممن لَمْ يُمتثلْ إلى العقيدة الرسمية.

❖ ١٦٠ قبل الميلاد، أمر الأسكندر النصّاب أو النبي المزيف بحرق كتب الفيلسوف اليوناني ابيقراط.

❖عام ٢٩٢ ميلادي أحرقت كتب الكيمياء المصرية في مكتبة الإسكندرية من قبل الإمبراطور ديكلتيان.

❖ عام ٣٢٥، أحرقت كتب ايروس وأتباعه بتهمة البدعة.

❖ عام ٣٩٢، أمر ثيوديوسس بنهب وإحراق مكتبة سيرابوم في الإسكندرية، لكن الحريق الأكبر وقع في مكتبة الإسكندرية عام ٦٤٠، ولم يعرف إن كان الحريق عرضيا أو متعمدا.

❖ عام ٤٣٥ أحرقت كتب نوستريوس بأمر من الإمبراطور ثيوديوسس الثاني بتهمة البدعة والهرطقة.

❖ في الثمانينيات من القرن الخامس عشر، أمر توماس توركمادا بإحراق الكتب غير الكاثوليكية، خاصة التلموذ اليهودي، وبعد سقوط غرناطة، شمل الحرق الكتب العربية.

❖ في ١٤٩٩ أو ١٥٠٠، في بلاد الأندلس بأسبانيا، أحرقت معظم كتب الشعر العربي والعبري بأمر من رئيس أساقفة غرناطة.

"في ١٥٥٣أحرق الكاتب والباحث مايكل سيرفيتيوس بأمر من رجل الدين جون كالفن بعد أن شدت حول خصره حزم من مخطوطة لكتاب جغرافية بطليموس، وتعمدوا أن يكون الحطب أخضر ليستغرق مدة أطول للاشتعال ومن ثم تعذيب الكاتب أطول مدة ممكنة قبل موته.

""في ١٨١٤ أحرق البريطانيون والكنديون كامل مكتبة الكونغرس أثناء مهاجمتهم واشنطن أثناء حرب الاستقلال.

"في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، أحرق النازيون جميع الكتب التي كان مؤلفوها من اليهود.

في مايس ١٩٣٣ قامت جمعيات الشباب النازية في كبرى مدن ألمانيا بحرق ٢٠,٠٠٠ كتاب من ضمنها أعمال توماس مان وإريك ماريا ريمارك وهنريك هين وكارل ماركس وإتش. جي . ويلز.

"في /مايس ١٩٨١ قام أفراد من الشرطة السريلانكية بإحراق المكتبة العامة لجافنه، شمال سريلانكا؛ التي كانت المكتبة الأكبر الثانية في آسيا، فقضت على ٩٧,٠٠٠ كتاب ومجموعة نادرة جدا التي مكتوبة على ورق النخيل.

"في /شباط ١٩٨٧ اعترفت وزارة الداخلية التشيلية أن ١٥,٠٠٠ من نسخ الطبعة الإسبانية لكتاب "مغامرات ميجيل " حُجزتْ وإحترقتْ في تشرين الثاني ٢٨, ١٩٨٦، بطاب مباشر من بينوشيه

في ١٩٩٢ هاجمت القوات القومية الصربية المعهد الشرقي في سراييفو بالقنابل الحارقة وأحرقت مكتبته الكبرى، ويعد ذلك الفعل الهمجي الفعل الوحيد الأكبر لحرق الكُتُب في التأريخ الحديث.

في كانون الثاني ٢٠٠١، وبضغط من الإسلاميين السلفيين، أحرقت وزارة الثقافة المصرية ٦٠٠٠ نسخة من ديوان لأبي نواس تضمن قصائد طافحة بالجنس كما قيل.

أما أزمة القراءة فهي أكثر ضررا على الكتاب من حرائق الكتب، وهذا سيكون محور القسم الثاني.

هل هناك قواعد مدرسية نهائية في كتابة قصيدة النثر؟

الى انسي الحاج بمناسبة انعقاد مؤتمر قصيدة النثر في بيروت

شاكر لعيبي

هل ثمة تعاليم في كتابة الشعر؟ ها هناك نصائح وقواعد وكيفيات في اقامة القصيدة عموما؟ هل نقلت قصيدة النثر من مبدأ الحرية، ولها وحدها تصلح بضعة تعاليم نهائية لسنا من دونها في مقام الشعر ولا في معرض قصيدة النثر؟

ان المقالة المنشورة في صحيفة القدس العربي (يوم ١٧-٥-٢٠٠٦) تحت عنوان (هذه هي قصيدة النثر العربية المطلوبة) تقدم بشكل جريء ونهائي القواعد والتعاليم المطلوبة والكيفيات الافتراضية لها، بل تقدم وصفة جاهزة لكتابة قصيدة النثر، من الصعب قبولها.

وبمناسبة هذه المقالة، بالضبط، ثمة ملاحظتان اساسيتان:

اولا: ان اسئلة التقنيات وتأصيل الاصول، خاصة المرجعيات الموسيقية ومعنى الايقاع تقال للمرة الاولى بطريقة مباشرة في المقال ذاك عينه، ردا مداورا على البعض –نحن منهم- ممن يشيرون الى التباس العلاقة بين التقنية والحرية في الكتابات النقدية العربية، الى الفبركات المستمرة لايقاعات داخلية لا وجود لها البتة في قصيدة النثر العربية الحالية، والى السردية الراهنة المزعومة فيها- حتى في النماذج المحترمة المقدمة من طرف مؤلف المقال- والى فصم العرى النهائي المفترض بين الشعر الحر وقصيدة النثر. ثمة نبرة جديدة لحسن الحظ في ذاك المقال تتناول مسألة التفعيلة وان كانت معارفها النغمية مستجلبة في الغالب من خارج تقاليد التفعيلات العربية المعروفة، لكن ثمة تشريع للقواعد الثلاث او الاربع الفرنسية المتعلقة بقصيدة النثر كأصول معيارية نهائية يتوجب ان تكون هي ذاتها القواعد الاخيرة لقصيدة النثر العربية.

وفي ذلك كله ثمة، كالعادة وهذا امر جوهري، قطيعة افتراضية بين التقنيات المجردة والرؤى الوجودية.

هذه المقالة عينها تشير، بدراية منها ام بغير دراية، الى مأزق قصيدة النثر العربية الراهنة ايقاعيا ضمن نسق الكلام العربي المعقد تاريخيا.

ثانيا: لا نعرف حتى اللحظة من تضع هذه المقالة نصب عينها وهي تتحدث بمناسبة قصيدة النثر عن التشطير (أي تشطير يا ترى؟)، او تتحدث بطريقة تنم عن انتباه جديد كليا لمشكلة الايقاع والموسيقى، وها هي استشهادات من المقالة:

١-المختارات (التي يقدمها المؤلف) افضل من قصائد النثر العربية المشطرة".

٢-:أليس اعتباطا ان يسمى شاعر يكتب عادة اشعارا موزونة كل قصيدة لا يتمكن من ضبطها عروضيا، قصيدة نثر وليس شعرا.. حرا! وكأن الشعر في نظره ليس سوى تفعيلات قررت سلفا".

٣-في الشعر المنظوم وفق اعتبارات كلاسيكية وموروثة هناك الايقاع rhythmوهو متأت من تناسق وحدة التفعيلات. في الشعر الحر هناك الواقع ((Cadenceمن اللاتينية ((Cadentiaوتعني يقع، وهو متأت من انحدار البيت/ السطر ضمن تموجات نغمية ناتجة عن تعاقب المقاطع المنبورة الخفية، كالفواصل، الوقفة الفجائية للبيت والاعتناء الاسلوبي في التقطيع، وهذا ما يميز بالضبط السطر (البيت) في الشعر الحر عن الجمل النثرية، هذا التعريف المتفق عليه عالميا للشعر الحر، يخضع له، عن وعي او بلا وعي، معظم شعراء قصيدة النثر العربية ذات الشكل المشطر".

٤-اذا من الخطأ ان يسمي الشاعر قصيدته قصيدة نثر، وقد اعتني بتقطيعها موسيقيا متوسلا كل المحاسن الشعرية باستثناء التفاعيل، ما يجعلنا نقول انه لم يبق من النثر شيئ فيها، واذا اجرينا دراسة ايقاعية لمعظم قصائد النثر العربية المشطرة لوجدنا (كما يقول اليوت) شبح تفعيلة ما يكمن فيها، او رغبة دفينة لمراعاة ايقاعات موزونة".

٥-واذا حصل قطع بين فقرة واخرى، كما في قصيدة يوسف الخال الذي كان واعيا للنوع، وقصيدة الشاعر العراقي الراحل رعد عبد القادر، فاننا لا نزال نشعر بحضور الجملة النثرية وحدتها وليس بطغيان البيت الشعري وايقاعه".

ما مشكلة قصيدة النثر مع تقنيات الشعر التجريدية كالتفاعيل (الموجودة في كل نثر على كل حال) والنبر الذي هو في صلب اللغات البشرية المنطوقة كلها، وما اضرار المحاسن الشعرية وما هي يا ترى قبل ذلك هذه المحاسن الشعرية المستهجنة بداهة؟

طرح المؤلف الذي نعرف جيداً تماما

يوسف الخال

بالنسبة اليه، ولم يكن ممكنا البتة قبل اقتراحنا المتعلق بادراج القافية في قصيدة النثر كمسعى محض تجريبي يقع في قلب الحرية والتجريبية التي تبيحها قصيدة النثر (الحداثية كما نعتقد جازمين) قبل غيرها يسعى جمع مبارك من اصدقائنا الى طمر مسعانا التجريبي المتواضع وللحديث تتمات طوال..

انسي الحاج

التأليف الصوري ..بعجينة الزيت واليورك والرمل

قراءة في لوحات الفنان سامي

حامد فاضل

يميل الفنان سامي مشاري الى التعبير عن فكرة تقمص الحالات النفسية ، أو الأزمات الذاتية من خلال الولوج الى العناصر الداخلية التي تشكل جزئيات الواقع البديل في أذهان المأزومين ، مؤدية الى الانشطارات الذهنية ، كنتيجة حتمية للصراع بين الأفعال الداخلية والخارجية .. وهو إذ يفصح عن ذلك في إعطاء أكثر من وجه لتلك الأزمات ، إنما يحاول أن يجعل موضوعاته متنوعة ، وذات اتجاه تعبيري ساعيا لجعل اللوحة بكل مكوناتها ، تعبيريا رمزيا ، وتعبيرا لغويا على اعتبار أن الرسم شعر صامت .. ما دام الشعر رسم ناطق ، مستعينا بعجينة من الزيت ، والرمل ، واليورك (مادة خاصة من صنع الفنان) يبسطها على (الكانفس) قماشة اللوحة ، مواجها الرسم ، بالرسم . وليس بأساليب أخرى . مركزا ومعمقا الرؤيا الذاتية للأشياء أو – للنفس –ثمة وجوه مذعورة ، تتلصص أو تختلس النظر .. هذا ما شاهدناه على امتداد المساحات اللونية للوحاته العشرين التي ضمها معرضه الأخير الذي أقيم على رواق كلية تربية المثنى في السماوة .. تمتاز أعمال الفنان سامي مشاري بقوة الخط ، والتركيز على تكراره إضافة الى استخدامه السطوح اللونية عبر استمرارية الحفاظ على بروز الشكل رغم تداخل ألوان الوجوه مع ألوان المفردات الشعبية الشائعة في بيوت الريف الجنوبي كالأيزار السماوي ، والبسط الريفية المعروفة (بالغلايج) والتي استفاد الفنان من تدريجاتها اللونية في خلق تداخل بين الأشكال ، والخلفية . ساعدت مادة الرمل واليورك على إعطائه عمقا بصريا ، يستوعب الظلال الباهتة لبقايا الأشياء كالكراسي والمشاحيف والآلات الموسيقية والحبال والستائر التي تلتف حول الكائن الحي الأنسان والحيوان والطير .. المقنع أو الخائف أو المتواري .. من اجل إبراز كل ذلك عجنت مادة الزيت مع اليورك والرمل كي تمنح اللوحة ذلك الإحساس بالتضاد بين الأجسام والفراغ .. فالأجسام في لوحات الفنان سامي مشاري . تستغل نسبا غير مألوفة كما أن الفراغ يمثل أهمية بالغة في تأليف الصور .. كأن يطبعها بالحركة دون التعبير عن الفعل . فعلينا كمشاهدين أن نتخيل أن الأجسام المتداخلة مع الأشياء والفراغ، إشعاعات ضوئية تظهر تلك الأجسام في أشكال عفوية باستطالتها غير الواقعية .

سامي مشاري

- خريج معهد الفنون الجميلة بغداد ١٩٧٦
- عضو نقابة الفنانين العراقيين ومشارك فاعل في معارضها
- أقام عدة معرض شخصية ومشتركة في الداخل والخارج
- حائز على عدة جوائز في الرسم
- اختيرت إحدى لوحاته في كتاب الثورة والفن سنة١٩٧٧